ما جرح مرتين وبعد ما كان ثلاثا فى القتال وهو معروف الآن كخادم أمين ومحارب قديم وكثيرا ما كان يؤدى بنجاح خدامات مهمة كمراسلة ببسالة فائقة وذهن متقد وهما كانا يساعدانه دائما فى أوقات الصعوبات

ومع كون معسكرنا كما ترى كان معرضا الى هجومات الزوابع والحر والمرض كانت مقذوفات العدو تزورنا كثيراً التى كانت تسلينا ومع كل ذلك كانت حماسة الجنود والضباط تزداد يوما بعد يوم مع جوعهم وعطشهم منتظرين فرصة عاجلة لابتداء الهجوم

الفصل السادس عشر

زوبعة فى خط القتال

أما الروسيون الذين كانوا محاصرين فى بورت ارثور فانهم كانوا يردون دائما على أعقابهم فى دائرة تضيق كل يوم حتى أنهم اضطروا أن يحاولوا عبثا بأن يكسروا خطنا ليوسعوا دائرة أعمالهم ولكن انهزامهم المتعاقب فى (كنزان) يظهر أنه كسر قلوبهم فيئسوا من استرجاع التل الا انهم كانوا يهاجمون يوميا بعض نقط خطنا بحمية ومع ذلك فانهم لم ينجحوا ولا مرة وكانت نتيجة مسعاهم خسارة ذخيرتهم ورجالهم

وفى ١٠ يوليو تقوبا أرسلنا بعض كشافين الى تل منحدر أمام خطنا سميناه (إيوايانا) أعنى التل الصخري لان كشافة العدو كانت تظهر هناك محاولة أن تتجسس حالة مدافعتنا فطردناها كشافتنا وهناك وضعنا قره قولاتنا

الامامية . وفى ١٦ يوليو أمر الملازم (سوجيمورا) عند ما كان الليل حالك الظلام ومعه بعض رجال قلائل بان يتوجه الى ذلك المحل

وكان البرد قارسا فى تلك الليلة والريح يضرب وجوههم فصارت الجنود بعدما مكثوا بضعة أيام جلداً على عظم وقلت قوتهم العصبية لاستمرارهم على قلة النوم راقدين لملاحظة العدو فى الظلام بعيون ساهرة واضعين آذانهم من وقت لآخر على الارض لاستماع وقع أقدام منتظرين هجوم العدو ليلا وكان ينادى الديده بان فجأة « العدو » فيتبع ذلك أمر الملازم « انتشروا » وكان (سوجيمورا) ثابت الجأش شجاعا يقاوم العدو بعزم ثابت مصمما أن يدافع عن هذه النقطة المهمة حتى الى الممات فاحاط بهم العدو من ثلاثة جوانب وكانوا أكثر عدداً من اليابانيين ولكن لم يعلم العدو بالضبط عددهم لحلا كة الظلام وزيادة على ذلك فقد أحضر العدو معه مدافع ماكينه وهاجموا اليابانيين بعنف من أحد الجوانب فدافع (سوجيمورا) هو والشرذمة من رجاله عن موقعه مدة ساعتين ولم يتقهقروا ولا خطوة واحدة فافتكر الروسيون أن اليابانيين أكثر منهم عدداً فرجعوا على أعقابهم ولكن (سوجيمورا) الشجاع كان قد جرح جرحا بليغا بطلقة من مدفع ماكينه مرت من أول الى آخر رأسه ومع ذلك فان ذلك لم يثن عزمه بل استمر في صراخه وتشجيع رجاله الى أن تقهقر العدو بينما كان دمه ينهمر على عينيه

وكانت تستعمل الروسيون الخيل للتقرب من معسكرنا ليختلسوا نظرة تحت علم الصليب الاحمر بدعوى أنهم آتون لاخذ قتلاهم . ومرة قد حصل أن ديده بانا شاهد فى نقطة شبحا آتيا اليه فصاح كالمعتاد

نف ـ من الماشى هناك ؟

فاجاب الشبح ـ ضابط من جيشنا

فافتكر الخفير اليابانى أنه ضابط كشاف راجع فقال له ـ مر ـ وفى الحال هاجم هذا الشبح الديده بان يسونكيته فقال له « أنت عدو يا سفيه تقـدم » ثم القاه على الارض بضربة من يد البندقية وهكذا كان العـدو يتعلم بعض كلمات يابانية كهذه حتى يستعملوها فى وقت الحاجة ولذا كنا دائما مستيقظين

هذا وقد حمل الملازم (سوجيمورا) الى المستشفى وهناك كان يعتنى به مراسـلته (فكوماتسو ايتو) كاعتناء الام بولدها المريض وكان يشجع سيده بعيون ملآى دموعا وكان يزوره عند أى فرصة ماشيا مسافة طويلة فى طريق وعر وانى شاهدت يوما عند رجوعى من مكتب رياسة اللواء جنديا طالعا التل وهو ينهج تحت حمل ثقيل فوق كتفيه ولما قربت منه وجدته (ايتو) فسألته عن حالة جرح الملازم (سوجيمورا) فقال لى « انها رديئة جداً وانى متكدر من ذلك لانه لا يبى أى شىء اليوم » فقلت له « يلزم أن يكون سوجيمورا شكورا لعنايتك اللطيفة » فعنـد سماع عبارات المدح هذه هطلت دموع ايتو ثم قال : « انى آسف لكونى لم أجرح مع ملازمى ولم يكن عندى وقت كاف لأرد اليه جميله اذ اننا سنفترق على ما أظن قريبا فكان من منيتى أن نموت سويا وفى الليلة الماضية قد قبض ملازمى على يدى قائلا انى أشكرك فشعرت انى مغموم وتمنيت ان أموت معه » ثم قال « يلزمنى أن أسرع لأراه » ثم سار فى طريقه كئيب البال حاملا هـذا الحمل الثقيل

المملوء بأشياء (سوجيمورا)

وجرح (سوجيمورا) هذا المحزن حمل كل الضباط والجنود على أن يكونوا أقوى عزيمة لمعاقبة المدو على (تايپوشاه) وذلك لاخذ ثار قتلى وجرحى اخوانهم العديدين أما الذين قتلوا وهم بخدمة الفره قولات الامامية فكانوا حزانى بدون شك اذ أنهم لم يموتوا فى ميدان قتال أشرف حتى ان بعض كلماتهم كانت عند الوفاة ملآى بالغضب والاسف التى وصلت لنخاع عظام سامعيها وانى هنا أذكر مثلا من هذا النوع . ذلك ان جنديا اسمه (هيجوياماشتا) كان مجداً فى عمله ومطيعا فى أداء واجبه بدون تكلف وكان محبوبا من رفاقه الذين يعتبرونه مثال الجندية فالتفت هذا الجندى ذات يوم فى ميدان القتال الى أعز أصدقائه وقال له بوقار « انى غير منتظر أن أرجع حيا بل اريد ان أذهب والحق باخوانى الذين ماتوا منذ عشر سنوات وأقول لهم قد أخذ بثاركم الا أن لى أخا كبيرا يعيش فى الفاقة فأرجوك أن تخبره بأنى قد مت موت كريم فلا تحزن »

وبعد ذلك بمدة قصيرة أمر أن يوصل رسالة مهمة واثناء عودته ليبلغ تنفيذ الامر أصيب فى بطنه فقال : ما هذا بشىء انه لجرح بسيط

ولكن لم يمكنه الوقوف فحمل الى محطة الاربطة وبعد ان فحصه الطبيب هز رأسه بحزن وقال «لا يعيش» وقد زار أمير لايه هذا الجندى الباسل وشجعه قائلا :

« لا تيأس ان كنت متألما كثيرا ولكن يجب أن تحفظ شجاعتك »

ولما رأى حياة الرجل قريبة الذهاب امتلأت عيون الميرالاى بالدموع وقال له

« ان هذه جراح شرف ولقد صنعت حسنا » فعند سماع هذه الكلمات اللطيفة فتح (هيجو) عينيه قليلا وهمس هذه الكلمات وهو فى سكرات الموت « امير الاى : سامحنى من فضلك وأرجوك أن تأخذ بثارى » ثم اهتزت يداه وتحركت شفتاه يريد أن يتكلم وبعد قليل سافر الى السياحة التى لا مرجع منها

وفى اليوم الثانى دفنه اخوانه فى الميدان وصلى عليه الكاهن (توياما) وغرست على قبره خشبة كتب عليها اسمه متجهة نحو بورت ارثور

وهنا يلزم أن أبين لكم شيئا عن صلاة تذكار الموتى التى أقيمت فى المعسكر . فقد فقدنا عددا كثيرا من الجنود من منذ مهاجمتنا (كنزان) وقد عين سعادة قومندان فرقتنا يوم أول يوليو لعمل قداس تذكارا لهذه الارواح الباسلة فنصب هيكل لذلك فى عزبة بالقرب من (لنجشوبوتز) فى مساء ذلك اليوم الغائم وعلق عليه صورة اميدابوذا (تمثال بوذا أحد رسل الشرق ولد فى كولومبو من نحو ٢٥٠٠ عام ويتبع دينه نحو ٦٠٠ مليون من البشر) التى كانت مع الكاهن (توياما) وبعد ذلك جمعت الصناديق التى فيها رماد الاموات (اذ العادة أن يحرقوا جثث موتاهم) ثم صار اشعال بعض بخور أما الهيكل فوضع موجها نحو بورت ارثور والشموع المحترقة والحشرات التي تغنى بعيداً وقريبا كانت كأنها تشاركنا فى أحزاننا

وكان المطر يهطل خفيفا متخللا فروع الصفصاف الذى كان يتساقط منها كأنه دموع السماء وقد اصطفت الضباط على هيئة نصف دائرة أمام الهيكل ووقف الجنود خلفهم وبعد ما انتهى الكاهن من صلاته تقدم القائد الى الامام بكل وقار وفى يده بخور حانيا رأسه ولم يرفعها بعض دقائق وكان قلبه

مملوءا بالحزن والشكر الزائدين وكأن شفتيه كانتا تكرران هذه الجملة « لقد صنعتم حسنا » ولا شك أن أرواح هـذه الاموات البواسل كانت حزانى أيضا لفراقها قائداً عظيما مثل هذا ثم تلا الجنرال الضباط واحدا بعد الآخر منحنين وبيدهم المباخر وكلهم حزانى على المفقودين وكأن كل ضابط كان يقدم الكلمات الآتية الى أتباعه الموتى « لقـد حاربتم ببسالة وبرهنتم على نجاح تعليمى وأديتم خـدمتكم باخلاص وكنتم آلات مفيدة فى أيـدى جلالة الميكادو »

أما الجنود الذين عاشوا بعد هؤلاء والذين اشتركوا معهم فى المتاعب الحربية فمن المحقق أنهم حسدوهم على موتهم وتمنوا أن يمتازوا بالموت معهم. أما النقط التى بلت أكمام الضباط والجنود الذين انحنوا أمام هيكل الموتى لم تكن فقط من مطر السماء بل من لدموع أيضا

الفصل السابع عشر

واقعة تاپوشان

بعد أن طردنا العدو من (كنزان) بعـد محاولتهم عبثا اسـترجاع التل كان موقعنا يزداد منعة يوميا فمن جهة كنا نعمل كل اسـتعداد لحركة عدائية ولقد وضعنا اثنى عشر مدفعا كنا أخذناها فى (نانشان) على الارتفاعات بالقرب من (لوانشان) وستة مدافع أخرى بحرية ثقيلة وضعت غربى (شوشوانتزو) ومن جهة اخرى أرسلنا جماعات كشافة كثيرة للتحقق